

الطوفان الأخير طوفان عظيم.. ولا سفينة

منذ ألف عام، وقف بقامة تُحاكي السماء وغيمااتها. يبتئ الإله فيض نفس، يبتئ أجزائها. بلغ من العمر ألفاً من السنين، ومعها بلغ اليأس منه مبلغاً لم يعرفه أحد من العابدين. هو ملّ الوجود، ملّ البشر. سئم معاشهم، بعد أن ملّهم الصبر منه فانتحر. فهم على ما فطروا عليه من حُب الخطيئة أصرّوا إصراراً. ومما دعاهم إليه من حُب الفضيلة ومعرفة الخلق والخالق فرّوا فراراً.

هو قد أثبت للعليّ القدير صادق فعله. وأظهر بما لا يقبل الريبة استكبار خلقه. هم تركوا الهاديّ النبيّ، وأتبعوا جاحدين الكذاب العصي. ألف سنة مضت وكانه لم يك فيها موجوداً. وكانّ دعوته إلى الله، إلى الحق، ما كانت له على طول العمر منهجاً. هو نوح، نبيّ الله وصفيّه. وقف مُناجياً ربّه بعد أن أدرك العجز سعيّه. وخاب عن نبيل الأمانى قصده.

الأمر على ما ترى ربّي! القوم في المعصية وفي الزور من القول والفعل لجوا. وبلا حياءٍ أم مُداراةٍ لشبيةٍ داع أم وقارٍ خالقٍ عن الحقّ انفضوا. أَدعُوهم فلا أجدُ فيهم من يُجيب. أشرح لهم سوء المسار وجليل المآل فلا أثنُ تسمع ولا عقلٌ يتبصر فيصيب. هو الجهل أسس فيهم قواعده. وألقى العرور على المسامع مواويله. فحاضوا في الأصل الأصيل، ولعبوا. وكذبوا الحقّ لمّا أتاهم، وانصرفوا. هو الباطل تمكّن من النفوس، فهانت. وليل الجهل أرخى على الدنيا سدائله، فهاهت. فالعقل عن نور الحقّ قد أوصد منافذه. وأضحى القلب بغير السوء لا تطيب مشاربه.

أدعوك ربّي! فلا تمنع عني رجاء. وأستمحك، فلا تغلق في وجهي سماء. هو القطاف أنت مواعيدك. فالكرم قد احترق وعفنت عناقيدك. فلا عنب يرجى منه ولا ثمر. والنفوس ملئت سواداً، وانتفى الخير منها واندرت. الأرض جدب، لا حرث ينفع فيها ولا سقاية. والأمر كما أراه قد حسم، وأضحى بائن العقم موثوق النهاية.

أنزل اللهم على الناس جام غضبك. أغرق دنياهم بوابل من جحيم، يكونوا عبرة لكلّ مُعتبر يأتي من بعدهم. لا تُبق على كافر منهم، فهم على العصيان والتكذيب دائمون. لا أمل يرجى منهم أو مَن يتأتى من ذريتهم. فالفرغ فاسد، وكما كان الأصل هو يكون.

ولا تنس اللهم القلة القليلة ممن اعتنقوا الهداية، وصدّقوا. فهم الخيرة من خلقك. سمعوا النداء لمّا ناداهم، فاعتبروا. اجعلهم في مكان عالٍ حصين، ومن الموت القادم احفظهم اللهم في مكانٍ مكين. هم البذرة الصالحة الأساس لجيل من الصالحين. هم السلف لخلق عساه يكون من القانتين.

نوح! استجاب الله لنجواك ولبي. فحلّ الطوفان العظيم بشري لك من الله وتعمى. تعمّد العليّ القدير طوفان الماء وسيلة. وجعل السفينة طوق نجا لك ولمن تبعك بإحسان. ثمّ أغرق ما تبقى فعل انتقام منه العظيم الديان. أراد العليّ الماء غسلاً للأرض من دنس ساكنها. أراد طهارة البيت من نزيل عاث فيه فساداً وغال. وجد الأفق مسدوداً أمامه، وإصلاح الحال مُدانةً خواتيمه، فأراد للإنسان نهضةً أخرى. أراد له بدايةً جديدةً. هي من نعم الله على خلقه في الحوائن السود والمحن. يبدل المعطيات الأساس، يك الإنسان في مخاضٍ جديدٍ يمتحن.

ثمّ كان أن استقرت الفلك على الجوديّ، ونجوت أنت وثلة الأخيار المنتخبين. هبطتم أرضاً لا فساد فيها ولا مُفسدين. فكان أمر الله أن ابدؤوا من حيث أنتم الآن. فعصر الطغاة قد انحسر، وأصبح خيراً طواهُ الزمان. لا شائنة بذرة، أم قصور معرفة، بهما تُخاصمون. فالعلم أنتم بالغو، ونبيّ الله ها أنتم تُعاصرون. والعصاة جميعاً قد رحلوا، ولم يبق في الدار إلاّ المحسنون. وليكن الزمان شاهداً على ما بيننا، اعمرُوا هذه الأرض على ما أحب وأرغب صلاحاً لكم ولمن يأتي من بعد من خلقنا.

بعدها، غادرت إلى الرفيق الأعلى تاركاً مشعل النور عند الصُحبة نُخبة الخلق أمانةً. انتهت رحله عذابك، فأمسيت في جوارٍ من لا تنقطع أبداً بشائره. رفع الرّحيم عنك التّكليف، فرفعك إلى حيث لا تعدم أبداً فضائله. غدوت خلياً هنيئاً، وبنور الله تنعم خصائصه. الظلال دانيةً والقطوف ذليلةً، والمياه تسنيم. تقم في ملكٍ كبيرٍ وجنةٍ، يغمرك النعيم.

نوح! إن أدري، أصبحرت أنت بحال الأرض وحالنا من بعدك؟ أم أراد بك اللطيف لطفاً فعنها وعنا أشغلك. مع ذلك، دعني عن عالم اليوم أخبرك. أتبتك وجع الروح، وعن فعل بنيك في هذه الأرض وفينا أعلمك. فالأمر قد بلغ في الأرض مبلغ سوء هربت من هوله ولدان. والخطيئة أسست في النفوس فأقامت لها القواعد، تسامق البنيان.

العفن هجر الزوايا والمكامن، وطافت في السوح والميادين. اعترش الهضاب، وافترش الوديان. لم يعف عن ظاهر ولا باطن. هو في الماء كما الهواء. هو في كل مسمع وعلى كل لسان. مقته سطح الأرض، وضاق به باطنها. مجتة البطحاء، فقصد الفضاء مستعمراً ومُنقَباً. فاحذر يا فضاء!

تموت الأطفال جوعاً والنساء وجداً، تفهر الرجال. يحرق حصاد الأشقياء، تُسْفَحُ الأعراض. يفوز الخسيس بالشرف الكبير والتعظيم، يُبْدُ الأشراف. يُنْهَرُ السائل صباح مساءً، يُسْحَقُ المسكين. لا كرامة لنيي بيننا، يُكْرَمُ السفهاء. يزهو الباطل في أرضنا، والحق زهوق. والظلم سيّد تُفْرَشُ له المطايا، والعدل نُفُوق.

ما أشبه يومنا بأيامك، نوح؟ فالظلام حالك، والفجر بعيد. الحزن يعتصر القلوب، والفرح ندر زهيد. لم يشتك الموت يوماً، وهو اليوم من زحمة الأشغال مرید. آلاف الأنبياء الهداة مروا علينا، ونحن على العادة كما بدأنا نُعيد. وطاغوت الذي يُقتل، من بعد الموت يقوم ألف طاغوت جديد. والدماء التي حرمت، أضحت في شريعة اليوم الطقس في كل عيد. وغدا حب الجاه والسلطان عمة بصيرة، عن نور الحق يحجب ويحيد. هو الباطل في كل السوح قائم، والحق في زاويته يائس قعيد.

فلو شاء العلي القدير بعثتك، وعلى ناس اليوم تدعوه ذا البأس الشديد، لادركت ما فاتك حينها. ولقلت قول متبصر من ضرورة فعله واثق أكيد. أن ربي لا تدر على الأرض من البشر إنسياً. أرسل عليهم غضباً يكونوا جميعاً بعدة أئراً منسياً. فإبتك إن تُبق على أحد منهم عادوا إلى ما بدؤوه. فهم من الحمأ المسنون جبلتهم، وهم إلى ما خلفوا منه أبدأ وجهتهم. وليك الطوفان آخر سطر في سفر الإنسان، طوفاناً عظيماً لا سفينة تُرجى فيه ولا ناجين.

ربي! وإن أردت للإنسان أن يبدأ من جديد، فمن غير طينة لتكن نشأته. فهذا المنبت قد خبر كثيراً وطويلاً، والنهاية هي ذاتها في كل حين. لا تبديل فيها ولا تحسين. من سيئ إلى أسوأ، واليوم دون أمس. ولا نعلم للغد استثناء في علم العلماء العارفين.

نعم، نوح! لو فعلتها منذ ألف سنة لاخترلت شفاء الإنسان ألف ألف من السنين. ولربما حفظتها لك الأرض مكرمة منذ ذلك الحين. ولعلها ازدهرت بخلق آخر ممن يسمعون قول رسل الله فيطيعون. يخلصون النوايا وعلى هدي الأنبياء الهداة يعملون. فينعم المخلوق الجديد جوار أخيه. وتنعم الأرض بالهدوء والأمن بسكانيتها المختلفين. وبما أنك لم تفعلها، وأشفقت على نسل الإنسان من أن يضيع. فها نحن بما اقترف قلبك الكبير تشقى في هذه الحياة. وقول الله قليلاً نسمع، ونادراً ما نطيع.

تشابه الحال، وتطابقت الأحوال. اختلف الشكل والوقت، ولما يتغير جوهر هذا الإنسان. ممّا خطيناته عاد الأفق مُعتماً مسدوداً، فهو فينا الآن كما كان في غابر الأزمان. والأمل في فعل التغيير قد نفق، ولما يتبق منه إلا شعاع نور أم اثنان. الظلم في صعود، والعدل مهزوز يخوض في حماة الدل والخذلان. لا كرامة لخالق أم مخلوق، الكل في ميزان الربح والخسارة يُقاس ويُزان.

في نوح فقط الحاضر والماضي يختلفان. فنوح دعا ربه لما علم سوء الحال، وأن الحسم غدا ضرورة أوأنها قد حان. وغابت الرسل في زماننا. فما من نبي يدعو الرحمن الرحيم، فيأت الجواب فعلاً قد وقع من عظيم لا ينام. بدعاء نوح كان خير البشرية قديماً في عظيم طوفان، وبنا سنبقى في صراع البقاء تشقى أيها الإنسان.

ورغم ذلك كله، وإلى أن يكون الأجل المروم والقدر، ويكون فعل الله فينا أمراً قد نفذ، سنبقى في هذه الدنيا نعاقر. نواجه الشر حيث يكون، نُصارع الظلم ولا نهدين. فامتحن الجدارة والثبوت هم وجودي لا نفتقر فيه أو نساوم. إن يطغ السواد ويدلهم، نصدع جداره يومضة حب هنا وبعثة ناي ههناك. وإن يغتظ الشر ويضغط بأنياب ويلوم، فيايمان الصابرين وصبر المؤمنين جروحنا نلأم. فالوثبة نحن فاعلها ما بقينا، وأما شرف العلاء فعلى العلي القدير تدبيراً. ومادامت الألف والميم في حروف الهجاء باقية، والثالثة اللام في القوافي تنتظم، سيبقى الأمل معقوداً في نواصينا. وفي الوجدان عقد الثلاثة على الدوام يلتئم.

.....

في سياقاتٍ أخرى، يمكنُ قراءةُ المقالاتِ التالية:

- أذنيّاتُ العصبونِ المُحرِّكِ العلويّ، الفيزيولوجيا المرضيّة للأعراض والعلاماتِ السّريّة
Upper Motor Neuron Injuries, Pathophysiology of Symptomatology
- هل يفيدُ التّدخلُ الجراحيّ الفوريّ في أذنيّاتِ النخاعِ الشوكيّ وذيّلِ الفرسِ الرضّيّة؟
- النقلُ العصبيّ، بين مفهومِ قاصرٍ وجديدٍ حاضرٍ
The Neural Conduction.. Personal View vs. International View
- في النقلِ العصبيّ، موجاتُ الضّغطِ العاملة
Action Pressure Waves
- في النقلِ العصبيّ، كموناتُ العملِ
Action Potentials
- وظيفةُ كموناتِ العملِ والتياراتِ الكهربائيّةِ العاملة
- في النقلِ العصبيّ، التيّاراتُ الكهربائيّةِ العاملة
Action Electrical Currents
- الأطوارُ الثلاثةُ للنقلِ العصبيّ
- المستقبلاتِ الحسيّة، عبقريةُ الخلقِ وجمالُ المخلوقِ
- النقلُ في المشابكِ العصبيّة
The Neural Conduction in the Synapses
- عقدة رانفييه، ضابطةُ الإيقاعِ
The Node of Ranvier, The Equalizer
- وظائفُ عقدة رانفييه
The Functions of Node of Ranvier
- وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الأولى في ضبطِ معاييرِ الموجةِ العاملة
- وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الثّانية في ضبطِ مسارِ الموجةِ العاملة
- وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الثّالثة في توليدِ كموناتِ العملِ
- في فقه الأعراب، الألمُ أولاً
The Pain is First
- في فقه الأعراب، الشكلُ.. الضرورة
The Philosophy of Form
- تخطيطُ الأعصابِ الكهربائيّ، بين الحقيقيّ والموهومِ
- الصدمةُ النخاعيّة (مفهوم جديد)
The Spinal Shock (Innovated Conception)
- أذنيّاتِ النخاعِ الشوكيّ، الأعراضُ والعلاماتِ السريّة، بحثٌ في آلياتِ الحدوثِ
The Spinal Injury, The Symptomatology
- الرّمع
Clonus
- اشتدادُ المنعكسِ الشوكيّ
Hyperactive Hyperreflexia
- أَساعُ باحةِ المنعكسِ الشوكيّ الاشتداديّ
Extended Reflex Sector
- الاستجابةُ ثنائيّة الجانبِ للمنعكسِ الشوكيّ الاشتداديّ
Bilateral Responses
- الاستجابةُ الحركيّةُ العديدة للمنعكسِ الشوكيّ
Multiple Responses
- التنكّسُ الفاليريّ، يهاجمُ المحاورَ العصبيّة الحركيّة للعصبِ المحيطي.. ويعفّ عن محاوره الحسيّة
Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons
- التنكّسُ الفاليريّ، رؤيةٌ جديدةٌ
Wallerian Degeneration (Innovated View)
- التجدُّدُ العصبيّ، رؤيةٌ جديدةٌ
Neural Regeneration (Innovated View)
- المنعكساتُ الشوكيّة، المفاهيمُ القديمة
Spinal Reflexes, Ancient Conceptions
- المنعكساتُ الشوكيّة، تحديثُ المفاهيمِ
Spinal Reflexes, Innovated Conception
- خُلقتِ المرأةُ من ضلعِ الرّجلِ، رائعةُ الإيحاءِ الفلسفيّ والمجازِ العلميّ
- المرأةُ تقرّرُ جنسَ ولدها، والرّجلُ يدعي!
- الرُّوحُ والنَّفْسُ.. عطيةُ خالقٍ وصنيعَةُ مخلوقِ
- خلقُ السّماواتِ والأرضِ أكبرُ من خلقِ النّاسِ.. في المراميّ والدلالاتِ

تفاحة آدم وضلع آدم، وجهان لصورة الإنسان.

حواء.. هذه

سفينة نوح، طوق نجاة لا معراج خلاص

المصباح الكهربائي، بين التجريد والتنفيذ رحلة ألف عام

هكذا تكلم ابراهيم الخليل

فقه الحضارات، بين قوة الفكر وفكر القوة

العدة وعلة الاختلاف بين مطلقه وأرملة ذواتي عفاف

تعذت الزوجات وملك اليمين.. المنسوخ الأجل

الثقب الأسود، وفرضية النجم الساقط

جسيم بار، مفتاح أحجية الخلق

صبي أم بنت، الأم تُقرّر!

القدم الهابطة، حالة سريرية

خلق حواء من ضلع آدم، حقيقة أم أسطورة؟

شلل الصفيحة العضدية الولادى Obstetrical Brachial Plexus Palsy

الأذيات الرضوية للأعصاب المحيطية (١) التشريح الوصفي والوظيفي

الأذيات الرضوية للأعصاب المحيطية (٢) تقييم الأذية العصبية

الأذيات الرضوية للأعصاب المحيطية (٣) التدبير والإصلاح الجراحي

الأذيات الرضوية للأعصاب المحيطية (٤) تصنيف الأذية العصبية

قوس العضلة الكاتبة المدورة Pronator Teres Muscle Arcade

شبيه رباط Struthers-like Ligament ...Struthers

عمليات النقل الوترية في تدبير شلل العصب الكعبري Tendon Transfers for Radial Palsy

Who Decides the Sex of Coming Baby? (Concise)

من يُقرّر جنس الوليد (مختصر)

ثالوث الذكاء.. زاد مسافر! الذكاء الفطري، والإنساني، والاصطناعي.. بحث في الصفات والمآلات

المعادلات الصفرية.. الحداثه، مالها وما عليها

متلازمة العصب بين العظام الخلفي Posterior Interosseous Nerve Syndrome

المنعكس الشوكي، فيزيولوجيا جديدة Spinal Reflex, Innovated Physiology

المنعكس الشوكي الاشتدادى، في فيزيولوجيا المرضية Hyperreflex, Innovated

Pathophysiology

المنعكس الشوكي الاشتدادى (١)، الفيزيولوجيا المرضية لقوة المنعكس Hyperreflexia,

Pathophysiology of Hyperactive Hyperreflex

المنعكس الشوكي الاشتدادى (٢)، الفيزيولوجيا المرضية للاستجابة ثنائية الجانب للمنعكس

Hyperreflexia, Pathophysiology of Bilateral- Response Hyperreflex

المنعكس الشوكي الاشتدادى (٣)، الفيزيولوجيا المرضية لانتساع ساحة العمل Extended

Hyperreflex, Pathophysiology

المنعكس الشوكي الاشتدادى (٤)، الفيزيولوجيا المرضية للمنعكس عديد الاستجابة الحركية

Hyperreflexia, Pathophysiology of Multi-Response hyperreflex

الرّمع (١)، الفرضية الأولى في الفيزيولوجيا المرضية

الرّمع (٢)، الفرضية الثانية في الفيزيولوجيا المرضية

خلق آدم وخلق حواء، ومن ضلعه كانت حواء Adam & Eve, Adam's Rib

جسيم بار، الشاهد والبصيرة Barr Body, The Witness



جدلية المعنى واللامعنى

-

التدبير الجراحي لليد المخليبة Surgical Treatment of Claw Hand (Brand Operation)



الانقسام الخلوي المتساوي Mitosis



المتممات الغذائية الـ Nutritional Supplements، هل هي حقاً مفيدة لأجسامنا؟



الانقسام الخلوي المنصف الـ Meiosis



فيتامين د Vitamin D، ضمانة الشباب الدائم



فيتامين ب6 Vitamin B6، قليلة مفيد.. وكثيره ضار جداً



والمهنة.. شهيد، من قصص البطولة والفداء

-

الثقب الأسود والنجم الذي هوى



خلق السماوات والأرض، فرضية الكون السديمي المتصل



الجواري الكُنس الـ Circulating Sweepers



عندما ينقسم المجتمع.. لمن تتجملين هيفاء؟

-

التصنيع الذاتي لمفصل المرفق Elbow Auto- Arthroplasty



٢٠٢٠/١٠/٩